الحياة بنا

في بيتنا البسيط بمدينة ميدلت الذي يقع بحي إزكاغن، استضافتنا غرفة ضيقة وممر صغير يقود للباب الخارجي، لا أدري كيف عرض عم لي على والدتي أن تعطيه بعض المال، مقابل تلك البقعة المستور سقفها ببعض قطع الصفيح والإسفلت. يتسرب منها المطر بشكل مهول يطردنا خارجها دون أن يستقبلنا مكان آخر غيرها بعد أن نجففها. دون أن تجف السماء من بركاتها، أما أسوارها فما شكلتها سوى جدران المنازل المجاورة. كنا أقارب وقرابة الدم تجمعنا، لكن الحقيقة هي كوننا كنا وحيدين فعلا، فلا أحد كان مستعدا لمد يد العون لنا.

أبي كان هزاله الشديد لا يمكنه من الاشتغال، الشيء الذي أوجب على والدتي بعمر مبكر الخروج للاشتغال، وأي عمل ذلك الذي ستجود به عليها الحياة غير تلك التي تعتمد على قوة البدن أما أعمال الإبرة فقد كانت تجهلها، ولم تعلمها. أعمال أمي موسمية فقد كانت خاضعة لنظام الأرض. ففي "موسم الثمور" تنتقل لمدينة الراشدية أو مدينة أرفود لتشتغل بأراضيها بين القطف والتنظيم، أما البيع فيتكلف به الرجال، وفي موسم الليمون تنتقل لمدينة بركان من أجل الجني أيضا.

اعتـادت على اكتـراء غرفـة وبعـض معارفهـا مـن العـاملات، يتقاسـمن المكان. أما في موسـم التفاح فتقبع بعيدا عنا حيث هناك تلك الحقول التي تستقبل شبيهاتها ممن خرجن للكشف عن سواعدهن وتلثيم وجوههن كي لا يعرفن والعمل بشرف. لم يكن وحدهن بل حتى الرجال لهم حضورهم. حقا: "طرف الخبز ماشي ساهل". أما عندما تمسك الأرض رحمها ف"الموقف" هو المكان الذي ينتظرها كما ينتظرهن، هناك حيث تقبع جالسة جلسـة القرفصـاء أو واقفـة وقـوف المجـدين حتـى يـأتي مـن يحتاجها لتنظيف بيت ما وغسل أفرشته. أخاف عليها كثيرا. لأني لا أضمن ما قد تواجهه هناك، قد تعنف من قبل أصحاب البيت أو قد تتعرض للاغتصاب أو أي شيء لا يخطر على بال.